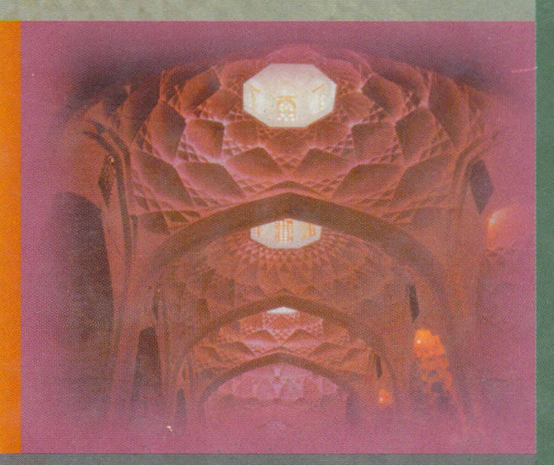


رسائل ابن عربي

الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد
ابن عربي الحاتمي الطائي
المتوفى سنة ٦٣٨ هـ

وضع حواشيه
محمد عبد الكريم النمري

- كتاب الفناء في المشاهدة
- كتاب الألف، وهو كتاب الأحدية
- كتاب أيام الشأن
- كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام
- رسالة القسم الإلهي
- كتاب الأزل
- كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى
- رسالة لا يعول عليه
- كتاب التراجم
- رسالة الانتصار
- كتاب المسائل
- كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار
- كتاب حلية الأبدال
- كتاب الوصية



منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

كتاب المسائل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله وسلم

الحمد لله واهب الأسرار، لأرباب المشاهدات والأبصار، القائمين بوظائف المجاهدات والأذكار، مطلع الأنوار، لأصحاب النظر والاستبصار، من خلف حجاب العقول والأفكار، فقيل في العلوم على هذا التقسيم أنها وهب باعتبار، وكسب باعتبار، والعلم الوهبي الذي لا يدخله كسب بوجه من الوجوه وهو العلم العزيز المقدار، هو ما أدت إليه الجبلة(١) الطاهرة الأصل والنشأة عندما ترددت في عالم الانتقالات في الأطوار، وانتقلت من عالم الأغذية إلى عالم التقديس والاطهار، في أسعد دور تكوين من الأدوار، وأيمن طالع طلع في ليل كان أو نهار.

فخرجت النشأة الطبيعية على غاية الصفا والاعتدال الذي أعطاه مكور الأكوار في الأكوار، كما. . .(٢) السيد المصطفى المختار، تخيرك الله من آدم، فما زلت منحدر. . .(٢) فكان انحداره في عالم الظلم والأغيار وتخليصاً وتزكية فبورك فيه من انحدار وكان عين الترقي إلى مقام أقدس ونعت أنفس يعسر مدركه على المجتهدين والنظار، فكان المعتدل النشأة الحسن الهيئة المرضي الخصال المحمود المناقب والآثار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء الأخيار، ما حكم سلطان الزهر في الأزهار، وما كانت سيئات المقربين حسنات الأبرار، وسلم تسليماً كثيراً.

فصل

أما بعد فإن للعقول حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث ما هي قابلة فما لها لا تقف عند حدها فما هلك امرؤ عرف قدره.

١ ـ **مسألة:** آية مناسبة بين الحق سبحانه الواجب الوجود بذاته وبين الممكن وإن كان واجباً عند من يقول بذلك من القائلين باقتضاء ذلك للذات أو القائلين باقتضاء ذلك للعلم السابق بكونه وما حدها الفكرية إنما تقوم وتصح بالبراهين الوجودية وهي إن، ولا

(١) الجِبِلَّةُ: الأُمةُ. و ـ: الخلقة (ج) جبّلات.

(٢) بياض في الأصل.

بد بين الدليل والمدلول والبرهان والمبرهن عليه من وجه به يكون التعلق له تعلق بالدليل وتعلق بالمدلول، ولولا ذلك الوجه ما وصل ذلك إلى مدلول دليله أبداً فلا يصح أن يجتمع الحق والخلق في وجه أبداً من حيث الذات لكن من حيث إن هذه الذات منعوتة بالإلهية فهذا علم آخر تستقل العقول بإدراكه لا تحتاج في ذلك إلى كشف بصري فكل معقول عندنا يكون موجوداً يمكن أن يتقدم العلم به من حيث الدليل على شهوده إلا الحق سبحانه فإن. . .[١] يتقدم على العلم به من حيث الذات لا من حيث الإلهية فإن. . .[١] في هذا الحكم مناقضة للذات في حكم تعلق العلم، فالإلهية تعقل ولا تكشف، والذات تكشف ولا تعقل، وهذا البحر بحر لا ساحل له ومن وقع فيه لا يمكن أن يسبح فيه، فإنه بحر الهلاك للبصائر بالذات فلا سبيل إلى الخوض فيه وكم من متخيل ممن يدعي العقل الرصين من العلماء القدماء يظن أنه يسبح في هذا البحر.

وقد عاينا منهم جماعة على هذا المذهب من الأشاعرة بمدينة فاس وهو يسبح في بحر وجوده لأنه متردد بفكره بين السلب والإثبات، فالإثبات راجع إليه لأنه ما أثبت إلا ما هو عليه في نفسه ففي نفسه يتكلم وفي عينه يدل ويبرهن والحق وراء ذلك كله والسلب راجع إلى العدم والعدم نفي الإثبات فما حصل لهذا الفكر المتردد من السلب والإضافات من العلم بالله شيء هيهات فزنا وخسر المبطلون، أنى للمقيد بمعرفة المطلق وذاته لا تقتضيه ولا رائحة له منه وكيف للممكن أن يصل إلى معرفة الواجب بالذات وما من وجه للممكن إلا ويجوز عليه العدم والدثور فلو جمع بين الحق الواجب لذاته وبين العلم وجه لجاز على الحق ما جاز على العالم من ذلك الوجه من الدثور وهذا محال، فإثبات وجه جامع بين الحق والعالم محال.

٢ ـ **مسألة:** لكني أقول إن للإلهية أحكاماً وإن كانت حكماً وفي صور هذه الأحكام يقع التجلي في الدار الآخرة حيثما كانت فأقول بالحكم الإرادي لكني لا أقول بالاختيار فإن الخطاب بالاختيار للتوصيل بما تقرر في العرف لثبوت الإيمان كأحاديث التشبيه وأمثالها وإن كان له مدخل صحيح من وجه كما ذكرنا لكن لا يقتضي ذلك ما نحن بصدده.

٣ ـ **مسألة:** فأقول على ما أعطاه الكشف الاعتصامي أن الله. . .[١] شيء معه وهو الآن على ما عليه كان في الحكم والآن وكان أمر. . .[١] علينا إذا بنا ظهر وأمثالهما وقد انتفت المناسبة بظهور حكم واحد. . .[١] من وجهين مختلفين.

يا واهب العقل أعميت البصائر عن ... مدارك الكشف فارتدت على العقب
إن أنصفت تركت أفكارها وأتت ... فقيرة تستمد العلم بالأدب

---

(١) بياض في الأصل.

فـيـضـاً عـلـى قـائـل فـإن سـجـيـتـه | زكـيـة مـن ضـروب الـشـك والـريـب
قـامـت عـلـى قـدم الإجـلال آخـذة | جـواهـر الـعـلـم فـي حـق مـن الـذهـب
وأخـذهـا بـبـصـري إذ بـصـيـرتـهـا | مسجونة الذات في بيت من اللهب
فـمـا لـهـا فـي وجـود الـحـق مـعـتـمـد | سـوى الـتـعـلـل بـالـعـلات والـسـلـب
لكن لها الحكم بالتمثيل يعضدها | عـوالـم الـحـس بـالإرفـاد والـعـطـب

والمقول عليه كان الله ولا شيء معه إنما هي الألوهية لا الذات من حيث وجودها فحسب فتحقق وكل حكم يثبت في باب العلم الإلهي للذات إنما هو بحكم الألوهية وهي أحكام كثيرة هي نسب وإضافات وسلوب ترجع إلى عين واحدة لم تتعدد من حيث الآنية والهوية وإنما تتعدد من حيث الحقائق الإمكانية والفهوانية فالكثرة في العالم حكماً وعيناً وهناك حكماً لا عيناً ونسباً لا حقيقة وهنا زلت أقدام طائفة من الإسلاميين حيث حكموا بمن لا يقبل التشبيه على من يقبل التشبيه واعتمدوا على ما تحققوه من الأمور الجامعة والرابطة كالدليل والمدلول والحقيقة والمحقق والعلة والشرط وهذا لا يليق بالذات لكن تقبله الألوهية من وجه وترده من وجه فالتزمت طائفة وجه القبول والتزمت طائفة أخرى وجه الرد ووقع الخلاف بينهما.

وكل واحد من الفريقين ببطلان مذهب صاحبه والألوهية تحكم بالإصابة للفريقين وسبب اختلافهم حبسهم في دائرة الفكر لم يبرحوا منها إلى المقامات الخارجة عن أطوار العقول وهي أطوار الولاية والنبوة حسب العقول التسليم لما يأتي به هذان الصنفان إن أنصفت وإن لم يوف الفكر حقه وصحبها التقصير والعمى ردت الأخبار النبوية والكشوفات وألحقتها بالخيالات الفاسدة لمناقضتها الأدلة التي قامت عند الخصم فيما يزعم وهو المخطي في كونه اعتقد دليلاً ما ليس بدليل فإن هذه الأمور لا تعارض الأدلة العقلية البتة لكن ليس كل ما يتخذه العقل دليلاً هو دليل لأن غلطه كثير وليس بضروري فيستوي فيه العقلاء وهذا النبي ﷺ من جملة العقلاء بل من أجل العقلاء وأكملهم عقلاً ولم يحل ذلك الذي أتى به دليله بل دله العقل على إمكانه فالتسليم أولى بمن لم يذق مدارك الكشف ولا ظهر له سلطان فيها فلو أنصفوا من نفوسهم وسلموا لهذين الصنفين أحوالهم لسعدوا في الدارين واستفادوا لكن الرياسة مانعتهم من ذلك وآخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة.

٤ ـ **مسألة:** وإذا ثبت ما ذكرناه وتقرر وإن قصرت أفهام أهل الفكر عن إدراكه فلنقل مخاطباً أولياءنا وأصحابنا الذين على مدرجتنا إن علومنا غير مقتنصة من الألفاظ ولا من أفواه الرجال ولا من بطون الدفاتر والطروس بل علومنا عن تجليات على القلب عند غلبة سلطان الوجد وحالة الفناء بالوجود فتقوم المعاني مثلاً وغير مثل على حسب

الحضرة التي يقع التنزل فيها فمنها ما يقع من باب المحادثة ومنها ما يقع من باب المسامرة ومن باب ما ينقال ومن باب ما لا ينقال.

٥ ـ **مسألة:** والوهب الإلهي كله ينقال وتأخذه العبارة وتبسطه غير أنه قد يقترن به أمر الإفشاء في وقت وأمر الكتمان في وقت وقد نسكت عنهما ابتلاء في حقنا لنلزم الأدب.ونحفظ الأمانة ونتقوى في علم المواطن التي توجب الإفشاء والكتم فيغني التحقق في ذلك عن ورود الأمر بالإفشاء والكتم والعلة في كون الألوهية تنقال لأنها حكم منتقض بالدليل الكوني المألوه ولا بد من وجه جامع يربط الدليل بالمدلول فمن هناك صح أن ينقال التجلي الإلهي والتجلي الذاتي لا ينقال لكن يشهد وإذا شوهد لا ينضبط ولا يشهده إلا الخاصة وليس في الكون طريق إليه ينال به فإن يتعالى أن يدرك بالسعايات لما ذكرناه من الارتباط فهو اختصاص مجرد وليس جزاء وهو الزيادة على الحسنى.

٦ ـ **مسألة:** وإذا ثبت ما ذكرناه فكلما وقفت عليه في كتبنا أو كتب أصحابنا مما يجري هذا المجرى فهو مما ذكرناه فما دون، فلا تطمع فيما لا مطمع فيه فإن حجاب العزة حمى وهو بحر العمى من هذا البحر اتصفنا بأوصاف الربوبية من القدرة والقهر والرأفة والرحمة وجميع الأسماء التي يتخلق بها وهي حق الألوهية كما اتصفت الألوهية من هذا البحر بما هو حق لنا من التعجب والتبشبش والضحك والفرح والمعية والأينية وجمع النعوت الكونية فإن سعيت في تخليص ذاتك من يد حجابك وتحريرها عن رق الكون اطلعت على الحكمة الإلهية التي لها قبل هذه الأوصاف التي وصف بها نفسه في كتبه وعلى السنة سفرائه ورسله عليهم الصلاة والسلام الحكمة التي لها قبلنا هذه الأوصاف الربانية التي وصفنا بها ووجدناها نحن في ذواتنا وهل القبول لما ذكرناه حقيقي أو مجازي وذاتي أو عرضي حُكمي أو حكمي.

٧ ـ **مسألة:** انظر وفقك الله من أردته لم تصل إليه إلا به ومن أراد أن يصل إليك لم يصل إلا بك فانظر الباعث الداعي لنزولك عليه أو نزوله عليك هو معدن الحكمة الموجبة عين المناسبة بينك وبينه وانظر هل يصح هذا في الحضرة الذاتية تجد ذلك محالاً.

٨ ـ **مسألة:** الافتقار موجب النزول بلا شك ولا ريب والافتقار على الذات محال والنزول محال ولنقبض العنان عن بسط هذا المدرك فإنه بحر مهلك وإن كانت سواحله بادية لكن أمواجه عظيمة ودوابه موذية وسفينته لا تقوم لموجه وريحه زعزع لا سكون لها لا تنفع فيه الاستغاثة ولا تنفع فيه الإقالة لكن الغريق فيه ناج سعيد والناظر إليه من سيفه المشفق عليه من هو له ناج محروم وهم الأكثرون فالمؤمنون كثيرون والعاملون الصالحات قليلون هذا وفقكم الله وقد ذكرنا طرقاً مما تستحقه الذات والحكم الإلهي وفرقنا بينهما بالوجوه التي تقتضيه كل حضرة منها.

٩ ـ مسألة: المتوجه على إيجاد كل ما سوى الله تعالى إنما هو الألوهية وأحكامها ونسبها وإضافاتها المعبر عنها بالأسماء والصفات وهي التي استدعت الآثار ووجود كل ما سواها إذ لا قاهر بلا مقهور وقادر بلا مقدور وراحم بلا مرحوم والخالق بلا مخلوق إلى جميع الأسماء الإضافية لا يصح بل لأنه منه صلاحيته من حيث الإمكان مقهور فالقاهر بالصلاحية كذلك قاهر فهو حكم الألوهية بالصلاحية لا بالفعل وأن لم يتصور التنبيه بين الحق والموجود الأول فهي تتصور في وجود الأجسام وما تحمله من المعاني بينها وبينها لا بين الحق وبينها لوجوه قد ذكرها الناس لا نحتاج إلى ذكرها لتداولها بين أهل هذا الشأن والوصف الخاص والعام لجميع الموجودات كونها قادرة وتعلق حكم القادر بالمقدور لا يعلم البتة لا كشفاً ولا بالدليل إذ القدرة الحادثة عند مثبتها ممن سلم نظره في إثباتها لا أثر لها فلا تعلق لها فمن أين له معرفة التعلق وكذلك الكشف وما عدا هذا الوصف الخاص الذي به وقع الامتياز عند المحققين منا بين الحق والخلق فمدرك بالدليل والكشف.

١٠ ـ مسألة: فأول موجود ظهر مقيد فقير موجود يسمى العقل الأول ويسمى الروح الكلي ويسمى القلم ويسمى العدل ويسمى العرش ويسمى الحق المخلوق به ويسمى الحقيقة المحمدية ويسمى روح الأرواح ويسمى الإمام المبين ويسمى كل شيء وله أسماء كثيرة باعتبار ما فيه من الوجوه وهو على نصف الصورة المعلومة عندنا سمعاً وكشفاً في وجه وعلى الصورة في وجه آخر على حسب ما يقع تجليه لأن العالم كله على الصورة والإنسان من العالم على صورة العالم فهو على الصورة والروحانيات أقوى على الكمال من عالم الأجسام لاستعدادهم الأكمل ولهذا يرغب البشر في تحصيل القوة الروحانية بالطبع.

فمنهم من وصل فكمل ومنهم من لم يصل لموانع عرضية وأصلية في هذا الدار وأما في الدار الآخرة فالكل يصل إليها ويقع الامتياز بينهم بأمور أخر ترجع إلى الصورة التي يدخلون فيها.

فلما أوجد هذا الموجود الأول ظهر له من الوجوه إلى الحضرة الإلهية ثلثمائة وستين وجهاً فأفاض الحق تعالى عليه من علمه على قدر ما أوجده عليه من الاستعداد للقبول فكان قبوله ستة وأربعين ألف ألف نوع وستمائة ألف نوع وستة آلاف وخمسين ألف نوع فظهرت لهذا العقل أحكام تعددها لا غير ونشر منها في كل عالم بما يستحق نشر إفاضة لا نشر اختيار فإن وجوهه مصروفة إلى موجده والعالم يستمدون من ذاته بحسب قواهم كقبول عالم الأكوان لنور الشمس من غير إرادة الشمس في ذلك وهذا الفرق بين الفيض الذاتي والفيض الإرادي، ذلك راجع لنفس المفيض ألا ترون إلى فيض العالم كلامه على الأسماع إرادي لأن له الإمساك عنه فإذا ظهر عين الكلام في

الوجود ففيضه على الأسماع ذاتي لا إرادي فتحقق هذا فهو هنا كذلك.

فالجمع بين الفيضين هكذا يكون فلاحظت طائفة فيض المفاض فقالت بالفيض الذاتي ولاحظت طائفة فيض المفيض فقالت بالفيض الإرادي فكل واحد تحظى صاحبه والإلهية تصوب قول كل طائفة ولما ظهر هذا الحق المخلوق به السموات والأرض الذي هو لوح الألوهية وقلمها الأعلى باليمين أقدس الجاري بالكائنات رأس عالم الأمر الرباني المخصوص بإضافة التشريف الفياض الذي لا يقبل حقيقة الاختيارات والإعراض قابل التحولات لكنه لا تقبل الإعراض ليس بمادة ولا يقبلها صدرت عنه أنوار شريفة لطيفة أودعها بضرب من الإقبال أرواحاً تناسبها في اللطافة والشرف فكأن الملأ الأعلى عالم الأمر والتسخير ولكن بعد إيجاد النفس وتوجهها عليه بضرب من الالتحام الإلهي والإقبال الرباني.

١١ ـ مسألة: ولما قيل هذا العدل ما لا يتناهى من العلوم قبولاً ذاتياً ظهر بصورة الغنى فانحجب عما يجب عليه من الافتقار للحضرة الإلهية فإن الغنى لا يدخلها للذات التي تقتضي ذلك وبحكم الغيرة فاشتغل بالنفس اشتغال تعشق ملكي وسلطنة عظمي ومملكة كبري ولهذا العقل فيض ذاتي وفيض إرادي كما له قبول ذاتي وقبول إرادي وهكذا الكل موجود وما من موجود من الموجودات كلها عن سبب إلا وله وجهان وجه به يقابل سببه ويأخذ عنه ويظهر لنفسه عزة في افتقاره إليه من ذلك الوجه ووجه آخر يقابل به باريه عز وجل فتارة ترد عليه الأحكام الإلهية من طريق سببه وعلى يديه وتارة يدعوه من الوجه الخاص به فإذا دعاه من الوجه الخاص به لم يبق للسبب عليه سلطان ولا يعرف أين ذهب فيحكم عليه الذل والافتقار إلى الله تعالى فيكون له التجلي ففيض النفس الله سبحانه ودعاها من الوجه الخاص فقدها العقل من حيث الفيض الإرادي ولا يقبل الفيض الإرادي إلا القول الإرادي فرجع العقل فقير إلى موجده فوجد الباب قد غلق دونه من حيث الاسم الخاص به فوجد الاسم القدوس قد حكمه الحق عليه فدخل تحت سلطانه حتى أظهر أثره فيه فلما أخلاه عند ذلك دخل وخدم بساط الحضرة وافتقر وهذا كان المراد ولما كان لكل موجود مما سوى الحق تعالى وجه إليه سبحانه صح أن يتصف بالفقر والغنى فالفقر إذا صرف وجهه إليه والغنى إذا صرف وجهه إلى الكون وهو متحقق بوجه الحق منه ومتى غفل عن التحقق بذلك الوجه وشهود ذلك العين لم يكن للغنى إليه طريق وكان فقيراً محضاً.

١٢ ـ مسألة: ومن ذلك الوجه الخفي ظهرت الآثار عن الموجودات بأسرها علوها وسفلها بسيطها ومركبها، حيوانها ونباتها ومعدنها ثم اختلفت أنواع التأثيرات فمنها أثر يقترن به إرادة وعزم ونية ومنها أثر يعطيه ذات الموثر لا يقترن معه إرادة كتأثير الأدوية المسهلة والقابضة وسببه ذلك.

ومنها ما يكون أثره حسياً ونفسياً ومنها آثار تكون في النفس لقيام أثر آخر موجود فيها كشخص أبصر ديناراً فاعلم أن للدينار أثراً في نفسه فإن تقوى ذلك الأثر حركت النفس الجسم لأخذه فالحركة الأصلية للدينار والبواعث لذلك تتنوع فباعث الطبع في ذلك لنفاسة جوهرية الدينار وخاصية الذهب وباعث العامة للحاجة إليه من غير تأمل إلى الجوهر وبواعث الصادقين من الزهاد الورعين لما عليه من اسم الله وبواعث المحققين لهذه كلها وزيادة، ولما كانت هذه البواعث محلها النفس كانت النفس في هذه الأمور هي المؤثرة في ذاتها لكن لا يظهر فيها مثل هذه الآثار إلا بوجود هذه الأعيان الخارجة.

١٣ ـ **مسألة:** وبهذا الوجه الذي ذكرناه لا يكون أثراً إلا للألوهية لأنه بذلك الوجه ظهرت هذه الآثار عن الأكوان كلها في الأكوان ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] قضاء صحيحاً ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] فلولا هذا السريان الدقيق والحجاب العجيب الرقيق والستر الأخفى ما عبدت الألوهية في الملائكة والكواكب والأفلاك والأركان والحيوانات والنباتات والأحجار والأناسي إذ الألوهية هي المعبودية من الموجودات فاخطأوا في الإضافة من وجه لا غير ولكن كان في ذلك الوجه شقاوة الأبد فالمحقق تحقق ذلك الوجه ورفع الخطأ من جهة العقل لا من جهة الحكم فإن النظر الإلهي كان تمكنه من هؤلاء المعبودين أكبر من غيرهم فربط الآثار بهم فظهرت عندهم ليضل من يشاء ويهدي من يشاء وربما ارتفعت طائفة عن مدرج نسبة الألوهية لهم مطلقاً ولحظت الوجه الخفي فقالت ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فاتخذوهم حجبة ووزراء نعوذ بالله ولكن هي أشبه من الأولى ولو رأت هذه الطائفة هذا الوجه من أنفسها ما عبدت الألوهية في كون خارج عنها بل كانت تعبد نفسها ولكن أيضاً لتحققها بها ووقوفها مع عجزها وقصورها واتلافها لم نتمكن لها ذلك ولو لاح لها ما ذكرناه ما اختصت بعبودة الألوهية في كون بعينه ومحصول ما قلناه إن الألوهية هي المعبودة على الإطلاق لا الأكوان ولهذا قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقضاؤه غير مردود فمن وقف على هذه الوجوه الإلهية من الأكوان فما يصح عنده أن يعبده كون أصلاً ومن لم يعرفها ولا يشاهدها تعبده وجه الحق في الكون لا الكون وبهذا القدر يعاقب ويطلق عليه اسم الشرك.

١٤ ـ **مسألة:** اعلم أنه ما من معبود إلا ويتبرأ من الذي يعبده هنا من حيث لا يسمع العابد إلا بخرق العوائد وفي الدار الآخرة على الكشف قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦] وتبرؤهم منهم أن يقولوا ما عبدوا غيرك منا فلم نكن بمعبودين لهم خوفاً من العقوبة لكنهم أضافوا فيقال لهم صدقتم لكنهم عبدونا فيكم على غير بصيرة صحيحة وإن اقتضت الحقائق فأخذناهم بالعمى ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢] فهم مصروفون في الدنيا

والآخرة عن هذا القدر من العلم ثم إن أخذ الحق لهم من باب مظالم العباد لافترائهم على المخلوقين بنسبة الألوهية لهم فكان أخذه عدلاً إقامة لحق الغير وعقوبة للجاهل حيث لم يستبصر واتبع هواه فإن الله قد ندبنا إلى العفو فيما يرجع إلينا من الحقوق وأن لا نعفو فيما يرجع إلى حقه وهو أولى بهذه الصفة فلذلك كان الشرك من مظالم العباد لا من حقه الذي يرجع إليه والمعبودين منهم سعيد ومنهم شقي فالسعيد ناج والمثال الذي اتخذوه معبوداً على صورته يدخل معهم النار ولولا قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] لكان في قصته ما يقال في زوال الآثار الإلهية عمن عبد في الآخرة فإنهم ما عبدوا إلا الفاعل المؤثر وهنا بحور طوامس.

١٥ ـ مسألة: فإن الألوهية تقتضي أن تكون في العالم ذو بلاء وعافية وإلا فليس زوال المنتقم منه من الوجود بأولى من ضده ولو بقي من الأسماء اسم لا حكم له ولا أثر لكان ما يقتضي له الحكم معطلاً وهذا محال والممكنات كلها على موازنة الأسماء المؤثرة الإلهية وما عدا هذه الأسماء المؤثرة من أسماء الذات فليس بأيدينا منها شيء إلا ما يرجع إلى السلوب والنعوت وبعض أسماء الكمال كالبصر والسمع فلا تعلق لها بالممكنات من حيث الآثر فافهم ذلك.

١٦ ـ مسألة: عجبت من طائفة تعدت طورها، وتجاوزت حدها فجعلت نفسها أعرف بالله من الله بنفسه فقالت أعوذ بالله من التشبيه وقالت أخرى أعوذ بالله من تنزيه يؤدي إلى تعطيل ووقفت المعبودة من التشبيه فلو وفت العلم حقه لتعوذت من تنزيه العبد نفسه تعوذها من التشبيه وسلمت قول القائل:

ظهرت لمن ألقيت بعد فنائه فكان بلا كون لأنك كنته

وسلمت قول الآخر سبحاني وأنا الله، وأمثال ذلك هذا وإن كانت طائفة قد كفرت القائلين بهذه الألفاظ وطائفة تأولت لهم ذلك كما تأولت أخبار التشبيه فكلا منا مع تأول أخبار التشبيه وما تأول هذه الألفاظ فإنها تعوذت من التشبيه ثم نزهت وصرفت الأخبار عما تعطيه ظواهرها ولم تتعوذ من التنزيه في حق الخلق وحينئذ كانت يثبت ما يليق بالحدث بصرف ما قالوه مما يليق بالحق عندهم إلى ما يناسب الكون إذ الألفاظ قابلة لصور المعاني فتقبل المعنى والاثنين فصاعداً وتلك الألفاظ المشتركة وليس التنزيه في هذه المسألة بأولى من التشبيه، عميت البصائر عن إدراك غوامض الأسرار وما تعطيه الألوهية.

ثم إن العجب كل العجب من هذه الطائفة هربت من التشبيه إلى التشبيه وجعلت ذلك تنزيهاً فضحك العقلاء لجهلهم فيما أتوا به فإنهم ما عدلوا من التشبيه لا إلى نفوسهم من المعاني المحدثة فانتقلوا من ظواهرهم إلى معانيهم المحدثة القائمة بهم فهربوا من التشبيه بهم إلى التشبيه بهم وسموا هذا العدول تنزيهاً فنفوسهم تزهوا إن

حملوها على المعاني الإلهية أو الحق شبهوا إن حملوا على المعاني النفسية وما لهم قدم يجول في غير هذا فلو رجعوا إلى محل التحقيق إذ حرموا الكشف وقالوا الحق سبحانه أثبت لنفسه هذه الأحكام في كتبه وعلى ألسنة رسله وسفرائه والذات مجهولة عند الخلق كلهم أي لا تعلم وهذه أحكام للذات عندنا والجهل بالحكم أقرب من الجهل بالذات إذ لا تعرف حقيقة نسبة هذا الحكم لهذه الذات المحكوم عليها به حتى تعرف هي في نفسها ولا معرفة بها فلا معرفة بنسبة الأحكام لها فكانوا لا يشبهون ولا يعيبون حكم تنزيه بعينه بل يسلمون علم ذلك لمن وصف بها نفسه وهو الله تعالى.

وقد روي عن بعض السلف أنه سئل عن الاستواء على العرش فقال: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، فنحن ومن جرى على طريقتنا من أهل العلم الذوقي المشهودي فلا يسلك هذا المسك البتة فإن الذات تشهد ولا تنقال ولا تزال الهوية منصحبة معها ولذلك قال العارف: لا هو إلا هو فأثبت الهوية بنفسها ولكن سلكنا مسلكاً آخر تحتمله الألوهية لا الذات وتعطيه حقيقة هذا الحكم فهذه الأحكام كلها لها وهي صحيحة في نفسها وهكذا يقع الشهود فيها لمن شاهد فستصل وترى.

وقد صح فيما أخرجه مسلم في صحيحه من تحول الألوهية وتبدلها في صورة الاعتقادات والمعارف وفيها اعتقاد المشبهة وغيرهم ولا بد من إقرار كل طائفة في تلك الدراية فلا بد من تجليها في صور اعتقاداتهم وذلك راجع إلى المدرك لا إلى المدرك فإن الحقائق لا تتبدل ولهذا نقص لمن خرج عن طريقتنا في أي حضرة تقع مشاهدة الألوهية ولهذا سمي عالم التمثل والتبدل برزخاً لكونه وسطاً بين حقائق جسمانية وحقائق غير جسمانية فتعطى ذات هذه الحضرة المتوسطة هذه التجليات تربط بها المعاني بالصور ربطاً محققاً لا ينفك.

وقد أشار إلى هذا المقام بعض العارفين في حكاية أذكرها بإسناد متصل إلى السري[(١)]، قال الجنيد: قال السري: سمعت غليم الأسود يقول: من أقبل على الأشياء وهو يراها هربت عنه ومن تركها أتته، قلت له كيف ذلك يا سري؟ قال كان يذكر أنه كان يكسب ويجتهد فلا يقوم بكفاية معيشته قال فقرأت هذه الآية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ

(١) هو سريّ بن المغلس السقطي (توفي ٢٥٣ هـ = ٨٦٧ م) أبو الحسن. من كبار المتصوفة. بغدادي المولد والوفاة. وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وهو خال الجنيد وأستاذه. قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علة الموت. من كلامه: «من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز». الأعلام ٣/ ٨٢، وطبقات الصوفية ٤٨ ـ ٥٥، والوفيات ١/ ٢٠٠، وتهذيب ابن عساكر ٦/ ٧١ ـ ٧٩، وصفة الصفوة ٢/ ٢٠٩، وحلية ١٠/ ١١٦، ولسان الميزان ٣/ ١٣.

ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ [الأنعام: ٤٦] الآية فتركت الكسب متوكلاً على الله بالكفاية فلو ضربت بيدي إلى هذه الأسطوانة فصارت ذهباً وضرب يده على الأسطوانة فإذا هي تلوح ذهباً.

ثم قال يا سري هذه الأعيان لا تنقلب ولكنك هكذا تراه لحقيقتك بربك فانظر في قوله هكذا تراه يعني الحق وهكذا تراه يعني المرئي أي الرؤية عائدة على الرائي يعني الصورة المشهورة للرائي ومن هنا أيضاً زلت أقدام طائفة عن مجرى التحقيق فقالت ما ثم إلا ما ترى فجعلت العالم هو الله والله نفس العالم ليس أمر آخر وسببه هذا المشهد لكونهم ما تحققوا به تحقق أهله فلو تحققوا به ما قالوا بذلك واثبتوا كل حق في موطنه علماً وكشفاً فاترك تأويل الأخبار الواردة بالتشبيه لمن وصف بها نفسه إذا لم تكن من أهل هذا الكشف والتحقيق ولا تحمله عليك أصلاً فإنك تبطل أصلك حيث تعتقد نفي التشبيه وما زلت منه ولكن تركت التشبيه بالمخلوق المركب وأثبته بالمخلوق المعقول وأنى للممكن أن يجمع مع الواجب بالذات في حكم أبداً.

١٧ ـ **مسألة:** المدرك والمدرك كلاهما على ضربين مدرك بعلم وله قوة التخيل فتمسك صور المرئيات ومدرك بعلم فقط ليس له قوة التخيل إذ ليس جسماً ولا في جسم، والمدرك على ضربين مدرك مقيد بصورة فهذا يتخيله من له قوة التخيل ويعلمه من ليس له قوة التخيل فلا تقوم به منه صورة لأن حقيقته تأبى ذلك، ومدرك لا يمكن أن يتخيل لأنه لا صورة له ولكن يعلم فقط وكل مفطور على العلم الذي تعطى حقيقته كسب العلوم فهم على ضربين ضرب ظهرت حياته للحس بالعادة فيتخيل ولا يكتسب علماً من طريق فكر وضرب بطنت حياته عن الحس بالعادة فلا يتخيل البتة وما في الوجود سوى ما ذكرناه فالوجود كله حي ناطق بتعظيم الحق سبحانه لكن يختلف نطقهم باختلاف حقائقهم قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤] فقوله: ومن فيهن، رد على من يقول بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كأنه يقول، أهل السموات السبع، وأهل الأرض، فنفى هذا الاحتمال بقوله: ومن فيهن، إذ قد ورد مثل ذلك في قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ﴾ [يوسف: ٨٢] وليس هذا كذلك وقوله عليه السلام في أحد، «هذا جبل يحبنا ونحبه»[١]، وقوله، «يشهد للمؤذن مدى صوته من رطب ويابس»[٢]، وقوله «ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقاً من الساعة»[٣]، وهذه أمور كلها تقتضي العلم وهو مشروط بالحياة لكن

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه النسائي (أذان ١٤)، وأبو داود (صلاة ٣١)، وابن ماجة (أذان، ٥)، وأحمد بن حنبل ٢/١٣٦، ٢٦٦، ٤١١، ٤٢٩، ٤٥٣، ٤٦١، ٤/٢٣٤.

(٣) سبق تخريجه.

كما قلنا بما ظهر منها للحس وما لم يظهر فما لم يظهر بالعادة ظهر بخرق العادة للنبي والولي فالكل حي ناطق بتسبيح الله وحمده لكن لا يفقهون أي لا يعلمون تسبيحهم أنه كان حليماً بإمهال من تأول هذا القول وصرفه إلى غير وجهه ولم يأخذه به غفوراً بستره نطق هذه الأصناف عن الإدراك السمعي.

١٨ ـ **مسألة:** العلم ليس تصور المعلوم ولا هو المعنى الذي يتصور المعلوم فإن ما كل معلوم يتصور ولا كل عالم متصور فإن العالم إذا تصور الأشياء التي من حقيقتها أن تتصور فليس يتصورها من كونه عالماً فقط بل من كونه متخيلاً وهي قوة التصور فمن ليست له هذه القوة لا يتصور ما يمكن أن يتصور، لكن يدرك ولا كل معلوم يتصور فإنه ليس من حقيقته أن تقبل الصورة فلا يتصور ولكن يعلم فالعلم ليس التصور على هذا وهو الصحيح.

١٩ ـ **مسألة:** ليس لمخلوق قدرة عندنا وعند المحققين منا إذ لا فاعل إلا الله تعالى خالق الأفعال الظاهرة في العين على أيدي الخلق وغيرها وذلك أنه ما استدللنا على أن كون الباريء قادراً إلا بوجود الأثر عن هذا الحكم ولم نجد أثراً لمخلوق عقلاً فمن أين ثبتت القدرة الحادثة مع انتفاء الأثر حقيقة.

٢٠ ـ **مسألة:** لا حاجة لنا في إقامة الدليل على إثبات الوحدانية فإن المشاهدة تمنع من الجدال في الله وفي وحدانيته ولكن قد يقال للمشرك نحن وإياك مجمعون على واحد وأنت زدت عليه فما الدليل على إثبات الزائد فهو يتكلف طلب الدليل لا نحن.

٢١ ـ **مسألة:** كون الباريء حياً عالماً قادراً إلى غير ذلك من أوصاف الكمال عندنا أحكام للذات أضيفت وسلوب صحيحة وصف بها لا ترجع إلى أعيان زائدة على الذات لأنه كامل الذات فمحال كماله بالزائد فإن فيه نقص الذات والنقص محال فالكمال بالزائد محال.

٢٢ ـ **مسألة:** العين وإن كانت واحدة الذات فلها تعلقات متعددة تتنوع بتنوع التعلقات حكماً فهي عالمة بكذا وقادرة لكذا ومزيدة لكذا وهكذا جميع ما ينسب إليها من أحكام الصفات.

٢٣ ـ **مسألة:** الصفات الذاتية للموصوفين هي عينها فهي مقدورة فإن كانت أحكاماً تابعة للموصوف لا عين الموصوف ولا غير الموصوف ولا موجودة ولا معدومة لكن معلومة فليست بمقدورة كالتحيز للجوهر وقبوله الأعراض والتأليف للجسم والطول والعرض والعمق ومثل ذلك.

٢٤ ـ **مسألة:** الأعيان من حيث الجوهرية لا تنعدم بعد وجودها أبداً والصور والأشكال والمقادير والأكوان والألوان أعراضٍ في عين الجوهر وهي التي تخلع على

الجوهر على الدوام فالكون من حيث الجوهر لا يفنى ولا يتبدل ومن حيث الصورة فكما ذكرنا.

٢٥ ـ **مسألة:** ليس العالم مع الباري في وجوده ولا بينهما بون[١] يقدر بل هو ارتباط ممكن بواجب ومخلوق بخالق فهو في الدرجة الثانية من الوجود والباري في الأول وليس بينهما رتبة مثاله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] الحيزين المتجاورين للجوهرين ليس واحد منهما في درجة الآخر ولا بينهما حيز فيمكن بهذه النسبة يكون الارتباط على التقريب إذ العبارة لا تسع أكثر من هذا في هذه المسألة وهذا مذهب ثالث لاح بين القدماء والأشاعرة فانتفى القدم عن العالم ولا يقول به القدماء وانتفى التقدير الوهمي الذي تقدره الأشاعرة بين الحق والخلق ويثبت الحدوث والافتقار وثبت العدم للخلق في وجود الباري.

٢٦ ـ **مسألة:** العرض ينعدم لنفسه في الزمان الثاني من زمان وجوده فكان الحق خالقاً على الدوام وصح الافتقار من الجوهر على الدوام ولو بقي العرض لارتفع هذان الحكمان وارتفاعهما محال، فبقاء العرض زمانين محال وهذا من باب الحقيقة الكشفية والسياق النظري أن الفاعل لا يفعل العدم والضد لا يعدم لأنه لا يجتمع معه ولأن الضد معدوم وانعدام الشرط لا يعدمه لأن الكلام فيه كالكلام في العرض الذي انعدم فلهذا قلنا ينعدم لنفسه ويستحيل بقاؤه.

٢٧ ـ **مسألة:** الحق تعالى يشهد من كل وجه ويرى إلا من وجه الفعل لرفع المناسبة لأنه خاص بالذات ليس فينا منه شيء بخلاف العلم والإرادة وغير ذلك من الأسماء لأن حقيقة المشاهدة من حيث نحن لا من حيث هو.

٢٨ ـ **مسألة:** لا يتمكن عندنا معرفة حال من الأحوال ما تقتضيه ذات ما إلا بعد معرفة تلك الذات حتى تعرف كيف ينسب إليها ذلك الحكم وذات الحق تعالى لا تعلم عندنا فالأحكام التي تنسب إليها يعلم وجه النسبة إليها أيضاً كالمعية والاستواء والنزول والضحك والتبشبش واليد والعين وكل ما حكم على نفسه به وعلى هذا المنوال حقيقة الإنسان وما ينسب إليها ولهذا قال عليه السلام: «من عرف نفسه عرف ربه»، والنفس بحر لا ساحل له فأحالنا في المعرفة علينا فلما دخلنا بحر معرفتنا بنا غرقنا وما برحنا نقاسي أمواج ثبجه[٢] فكرة وكشفاً إلى أن عرفنا أن معرفتنا بنا بحر لا ساحل له ننتهي إليه فننتقل إلى معرفة الربوبية فيئسنا ففينا نتكلم وعلينا نحوم وما يبدو لنا سوانا فنحن حجاب العزة الأحمى على الرب يجل ويتعالى أن يدركه خلقه على كنه ما يدرك نفسه

(١) البون: مسافة ما بين الشيئين. يقال: بينهما بون بعيد؛ أي: بين درجتيهما أو بين اعتبارهما في الشرف.
(٢) الثَّبَجُ: من البحر: أعالي موجه، وعلو وسطه إذا تلاقت أمواجه.

بل الخلق قاصر عن إدراك نفسه فكيف له بالظفر بإدراك منشئه من حيث هو منشىء له فأحرى من حيث ذاته تعالى وتقدس علواً كبيراً لا يعرفه على حقه عارف ولا يصفه واصف.

٢٩ ـ **مسألة:** دل الدليل الواضح على إثبات إله واحد ونفي إلٰهين لم يدل دليل قط على نفي قديمين فصاعداً ولا على إثبات ذلك بل الجواز إلا أن يرد السمع بإثبات ذلك أو بنفيه فلا إله إلا إله واحد سبحانه وتعالى عما يشركون.

٣٠ ـ **مسألة:** للقدم المنسوب إلى الباريء سلب الأولية التي ثبوتها عن عدم لا الأولية الوجودية التي سمى بها نفسه في قوله هو الأول.

٣١ ـ **مسألة:** البقاء استمرار الوجود لا غير لا عين صفة فيبقى فيحتاج إلى بقاء والذي يبقى به البقاء به يبقى الباقي المنعوت بكونه باقياً وهو ما ذكرناه فإن كان الباقي ممن يتقيد بالزمان فاستمرار وجوده بمرور الأزمان عليه وإن كان الباقي ممن لا يتقيد فاستمرار وجوده لا غير.

٣٢ ـ **مسألة:** الكلام على حسب من ينسب إليه فليس ثم حد يجمعه فمعرفة نسبته إلى الباريء موقوفة على معرفة ذاته كما قد قررناه وكذلك سائر ما نعت به وسمى.

٣٣ ـ **مسألة:** وحدانية الكلام حقيقة والتجلي من كونه متكلماً واحد والمتجلي إليه مختلف متنوع مقيد بالوقت والمكان وقد يتقيد بالآلة فينقسم إلى الأوامر والنواهي والأخبارات وغير ذلك من أقسام الكلام اللفظي الموقوف على الصيغ والعبارات.

٣٤ ـ **مسألة:** الأسماء للذات أحكام يرجع إليه من المحدثات ما علم منها وما لا يعلم مما يصح أن يعلم فثم اسم يدل على عين الذات لإيقاع التمييز للسامع في العبارة يسمى مرتجلاً أو جامداً وهذا الاسم لولا نحن ما أطلق عليه وثم اسم يعقل منه معنى زائد على عين الذات وهل يدل على الذات أم لا؟ فيه توقف بالنظر إلى العقل وإن دل على عين الذات فهل هو عين الذات المقول عليها هذا الاسم أم ذات زائدة؟ فذهبت طائفة إلى أنه عين الذات وهم القدماء وذهبت طائفة إلى ذات زائدة وهم الأشاعرة كقولنا عالم قادر ومريد، حي وسميع وبصير وغير ذلك.

وثم اسم تعقل منه إضافة لا غير كالأول والآخر والظاهر والباطن وثم اسم يعقل منه سلب ما لا يليق بالمسمى كالقديم والقدوس ومع هذا كله فمنا تعلقها لا منه فهي أسماء حمل لا أسماء تحقق.

٣٥ ـ **مسألة:** الاسم قد يرد ويراد به المسمى ويرد ويراد به اللفظ الدال على المسمى فالخلاف في هذه المسألة لفظي لا غير ليس بأيدينا على الحقيقة من الحق تعالى إلا أسماؤه ولا نعقل منه غيرها وبهذه النسبة نسميه معروفاً ومعلوماً ونسمي أنفسنا

علماء وعارفين ولهذا لا يقع التسبيح والتقديس إلا على الاسم فقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٧٨] فحقق هذا الفصل أيها الناظر.

٣٦ ـ مسألة: الحمد هو الثناء على الله بما هو أهله والشكر الثناء على الله بما يكون منه من النعم ولا يكون الثناء أبداً على الله إلا مقيداً، أما بالنطق وأما بالمعنى الباعث على الحمد وقد يرد في النطق مطلقاً ومقيداً مثل قوله تعالى في المطلق اللفظي: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]وأما المقيد فتارة يفيده بصفة تنزيه كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١] وتارة يقيده بصفة فعل كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وما خرج حمد من محاميد الكتب المنزلة من عنده عن هذا التقسيم.

٣٧ ـ مسألة: خلق الله الخلق ليكمل مراتب الوجود وليكمل المعرفة في الوجود أي ليكمل وجود تقاسيم المعرفة فخلق الخلق ليعرفوه إذ كان كنزاً لا يعرف كما ورد في بعض الأخبار المشهورة لا ليكمل هو سبحانه في ذاته تعالى الله عن ذلك فكان يعرف نفسه بنفسه فبقي من مراتب المعرفة أن يعرفه الكون فتكمل المعرفة فأوجد الخلق وأمرهم بالعلم به وكذلك الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث فلو لم يخلق الكون ما كملت مراتب الوجود فافهم.

٣٨ ـ مسألة: اسم البخل على الله محال فلو ادخر شيئاً من الممكنات لم يكن اسم الجود عليه فيما أعطى بأولى من اسم البخل عليه فيما أمسك فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم من حيث حصر الأجناس فليس في الإمكان جنس زائد ومن حيث إنه نصب العالم دليلاً على العلم فلا بد أن يكون الدليل كامل الأركان فما ابقى شيئاً إلا الأمثال فالمثل عين المثل في حقيقته.

٣٩ ـ مسألة: ليس ثم أعلى من الكشف ولا أدنى من الحجاب فالكشف غاية المطالب وهو الرؤية، والحجاب أعظم الحرمان وهو عدم الرؤية، وقد ظهر الحكمان في العالم فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم يحصره بين التجلي والحجاب.

٤٠ ـ مسألة: الأفراد في هذه الأمة هم الخارجون عن دائرة القطب وهم الذين على بينة من ربهم ويتلوهم شاهد منهم وهم في هذه الأمة بمنزلة الأنبياء في الأمم الخالية الذين كانوا على شريعة من ربهم في أنفسهم ليسوا برسل ولا متبعين إلا لما يوحي الحق إليهم سبحانه وتعالى وينظر إليهم الاسم الفرد وبانفراده عن الاسماء والقطب من الأفراد له مزية التقدم بالنظر في العالم بخلاف سائر الأفراد وأخبرت عن عبد القادر الجيلي[1] ببغداد أنه قال في الشيخ عبد الرحمٰن الطسونجي، وطسونج: قرية على جانب

(١) عبد القادر الجيلي (٤٧١ ـ ٥٦١ هـ = ١٠٧٨ ـ ١١٦٦ م).
عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني أو =

الدجلة محاذاة النعمانية من الجانب الشرقي أنه من الأفراد وهم أعيان الأولياء.

٤١ ـ **مسألة:** المختار هو الذي يفعل أمراً ما إن شاء ويتركه إن شاء وسبق العلم بالفعل أو بالترك تخيل وقوع ما لم يسبق به العلم فالاختيار محال والمضطر هو المجبور على الأمر ولا جبر فلا اضطرار ولا اختيار فحقق أيها الناظر هذه المسألة تنتفع بها إن شاء الله.

٤٢ ـ **مسألة:** الاختراع حصول المخترع في النفس أولاً ثم بالفعل ولم يحصل في النفس شيء لم يكن فيها فلا اختراع لكن عدم المثل في ظهور العين ابتداء سماه اختراعاً وليس على حقيقة الاختراع.

٤٣ ـ **مسألة:** إذا كان الاتحاد يصير الذاتين ذاتاً واحدة فهو محال لأنه إن كان عين كل واحد منهما موجوداً في حال الاتحاد فهما ذاتان وإن عدمت العين الواحدة وبقيت الأخرى فليس للأول حد فإن كان الاتحاد بمنزلة ظهور الواحد في مراتب العدد فيظهر العدد فقد يصح الاتحاد من هذا الوجه ويكون الدليل مخالفاً للحس فيكون له وجهاً كالكناية عن حركة يد الكاتب حساً وبالدليل أن الله خالقها وأنها أثر القدرة القديمة لا المحدثة فالوقوف على هذا القدر من المعرفة بطريق الكشف والشهود لا من طريق الفكر يسمى اتحاداً.

وقد يكون الاتحاد عندنا عبارة عن حصول العبد في مقام الانفعال عنه بهمته وتوجه إرادته لا بمباشرة ولا معالجة فبظهوره بصفة هي للحق تعالى حقيقة تسمى اتحاداً لظهور حق في صورة عبد ولظهور عبد في صورة الحق.

وقد يطلق الاتحاد في طريقتنا لتداخل الحق في الأوصاف والخلق فوصفنا بأوصاف الكمال من الحياة والعلم والقدرة والإرادة وجميع الأسماء كلها وهي له ووصف نفسه بأوصاف ما هو لنا من الصورة والعين واليد والرجل والذراع والضحك والنسيان والتعجب التبشبش وأمثال ذلك مما هو لنا فلما ظهر تداخل هذه الأوصاف بيننا وبينه سمينا ذلك اتحاداً لظهورنا به وظهوره بنا فيصح قول القائل عن هذا:

أنــا مــن أهــوى ومــن أهــوى أنــا

= الكيلاني، أو الجيلي. مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شاباً، سنة ٤٨٨ هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ. وتوفي بها. له كتب، منها «الغنية لطالب طريق الحق» و«الفتح الرباني» و«فتوح الغيب» و«الفيوضات الربانية»، وللمستشرق مرجليوث الإنجليزي رسالة في ترجمته نشرها ملحقة بالمجلة الأسياوية الإنكليزية. ولموسى بن محمد اليونيني كتاب «مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني».
الأعلام ٤/ ٤٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٧١، وطبقات الشعراني ١/ ١٠٨ ـ ١١٤، وشذرات الذهب ٤/ ١٩٨.

٤٤ ـ مسألة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] المماثلة عقلية ولغوية زيد مثل عمرو في الإنسانية لاشتراكهما في صفات النفس هذه المماثلة العقلية، وليس عليها ليس كمثله شيء، إلا بزيادة الكاف أو بتخريج بعيد على تقدير فرض المثل لا على وجوده فالمماثلة إذاً في الآية لغوية وهو الصحيح زيد كالأسد وعمرو كالبحر أي زيد مثل الأسد شجاعة وعمرو مثل البحر جوداً ونزاهة واتساعاً، مثل نوره كمشكاة، فانظر.

٤٥ ـ مسألة: العلوم المكتسبة ليس إلا نسبة حكم المحكوم عليه بنفي أو إثبات وليس شيء من المفردات مكتسب وأعني بالاكتساب ما حصل بالنظر فإذا نسب الاكتساب إلى التصور الذي هو معرفة المفرد فليس ذلك إلا في اللفظ لا من جهة المعنى وإنما تسمع لفظاً يدل على معنى ذلك المعنى عنده معلوم إما حساً أو بديهة لكن لا يعرف أن ذلك اللفظ وضع له فلهذا يسأل عنه فيكتسب أن ذلك اللفظ موضوع لذلك المعنى المعلوم عنده ليس إلا.

٤٦ ـ مسألة: المعلومات منحصرة في حس ظاهر أو باطن أو بديهة وما يركب من ذلك عقلاً إن كان معنى وخيالاً إن كان صورة ويسمى الباطن إدراك نفسي وهو العلم بالآلام وشبهها فالخيال لا يركب أبداً إلا في الصور خاصة والعقل يعقل ما ركب الخيال وليس في قوة الخيال أن يصور بعض ما يركبه العقل وإن وقعت الصور في المعاني فليس إلا على تقدير أن لو كانت صوراً لكانت على هذه الصورة كالعلم في صورة اللبن والدين في صورة القيد وسورة البقرة لها لسان وعينان تشهد لقارئها والأعمال في صورة شاب حسن إذا كانت صالحة وليس في هذه المرتبة المال الذي لم يأخذ منه الزكاة حظها فيكون شجاعاً أقرع له زبيبتان فلو كان عين المنع كان ملحقاً بهذا الباب بلا لطف لأنه عدم من حيث هو منع وإنما هو عين المال وقد اشترك مع الشجاع في الجوهر فهو خلع صورة كان الجوهر حاملاً لها ولباس صورة الشجاع.

٤٧ ـ مسألة: النظر في الأشياء من حيث ذواتها من غير نظر إلى كمال أو نقص أو ملائمة طبع أو منافرة أو عرض أو وضع لا حسنة ولا قبيحة ولا محمودة ولا مذمومة فالحسن والقبح والحمد والذم أوصاف وضعية وضعها شرع وطبع بحكم ملائمته أو منافرته وناظر في كمال ونقص لا غير ثم هي بالنظر إلى فاعلها من حيث استنادها إليه حسنة كلها أدباً إلهياً فانظر كيف تنظر في هذه المسألة يزول عنك الخلاف المشهور فيها ومن هذا الباب عندنا الشريف والوضيع.

٤٨ ـ مسألة: لا يلزم الراضي بالقضاء أن يرضى بالكفر والمعاصي والمخالفات فإنها كلها معصية ما هي عين القضاء والشارع أمرنا بالرضا بالقضاء لا بالمقضي وهو اختيار الحق تعالى لا مختاره وليس لك أن تقول رضيت بما قضى الله لي من المخالفات

فإن ما هنا هي عين المقضي إلا أن يجعل ما زائدة فحينئذ يجوز لك ذلك.

٤٩ ـ **مسألة:** لا يلزم من وجود الصفات المتعلقة وجود المتعلق كوجود القدرة أزلاً وتعلقها إنما هو الإيجاد ولا يصح أن يكون الإيجاد أزلاً وكذلك العلم لا يلزم من وجوده أن يكون متعلقاً بحقائق المعلومات بل له صلاحية التعلق والعلم عندنا المحدث واحد لا أقول إن لكل معلوم علماً فإني لا أشترط فيه التعلق بكل المعلومات وإنما هو معنى فيه صلاحية التعلق فإذا نسب إلى الحق نسب إليه متعلقاً بما لا يتناهى من المعلومات حذراً من أن يقوم به جهل بما يصح أن يعلم وذلك على الله محال وقلنا بوحدانيته إذ لو كان لكل معلوم علم والمعلومات لا نهاية لها وهو عالم بها فكان يقوم به لا نهاية لها ودخول ما لا نهاية له في الوجود فوجود علوم لا نهاية لها محال ولما ذكرناه جوز الإمام أبو عمرو السلالقي الأشعري رحمه الله تعالى تعلق العلم المحدث بما لا نهاية له حدثني بذلك بعض أصحابه ممن قرأ عليه عنه وهو قول صحيح عندنا نرتضيه وإن اختلفت مآخذنا في دركه فالمدلول واحد ولا يعترض علينا بالنوم والغفلة والذهول فإن تلك أموراً بدنية طبيعية بعبور الآلات ليس محلها اللطيفة الإنسانية فهي العالمة نام الجسم أو استيقظ وليس بحصرها عالم واحد فلها العوالم كلها حسها وخيالها وعقليها، ملكها وملكوتها فحيث ما سار بها الحق سارت وحيث ما أوقفها وقفت ولا يخلو عن تعلقها بمعلوم حيث كانت ومهما علمت ما لم تكن عالمة فليس ذلك راجع لتجدد علم فيها وإنما يجدد التعلق بالمعلوم لظهور المعلوم حساً كان أو غير حس فادركته بالعلم الذي اتصفت به قبل ظهور ذلك المعلوم وكذلك الإرادة سواء وكلامنا في هذا كله إنما هو في الصفات المحدثة المخلوقة وأما علم الله وصفاته المتعلقة فقد وافقنا على ذلك العقلاء إلا شرذمة[1] قليلة وهي المعتزلة ولا اعتبار لهم عندنا.

٥٠ ـ **مسألة:** للعقل نور وللإيمان نور فنور العقل يصل إلى معرفة وجود الله تعالى، وكونه قادراً سميعاً عالماً مريداً إلى غير ذلك مما يجب للألوهية وما يجوز عليها وما يستحيل، وبنور الإيمان يعرف ذات الحق وما وصفت نفسه به مما يقتضي التشبيه والتنزيه فيأخذها مشاهدة وهذه درجة الأنبياء والأولياء كما أن للعقل حد وللإيمان حد فحد العقل يوصله إلى التدبير في أسبابه ومصالح وجوده بحسب ما يقتضيه نظره من العادة، وحد الإيمان خرق العادات عنده لتخرق العادات له فيجد اللذة في العذاب والألم في النعيم وشبهه وعلى حد العقل تجري أمور العقلاء من الخلق وعلى حد الإيمان تجري أمور بعض المنتمين إلى الله تعالى أصحاب الأحوال والأوامر الإلهية والخواطر المستقيمة الربانية.

(١) الشَّرْذِمَةُ: القطعة من الشيء. وشرذمة من الناس: جماعة قليلة (ج) شراذم.

٥١ ـ مسألة: توجه الذات على جميع الممكنات يسمى إلهاً، لمعنى يسمى ألوهية، وتعلقها بنفسها وبجميع حقائق المحققات على ما المحقق عليه وجوداً كان المحقق أو عدما يسمى علماً، تعلقها بالممكنات من حيث ما هي الممكنات عليه يسمى اختياراً، تعلقها بالممكن من حيث سبق العلم قبل كون المكون يسمى مشيئة، تعلقها بتخصيص حد الجائزين للممكن على التعيين يسمى إرادة، تعلقها بإيجاد الكون يسمى قدرة، تعلقها بالأحكام قبل وقوعها يسمى قضاء، تعلقها بوقت وقوع الحكم يسمى قدراً، تعلقها بأسماع المكون لكونه يسمى أمراً، وهو على نوعين بواسطة وبلا واسطة فبارتفاع الوسائط لا بد من الامتثال فيكون الكون ولا يلزم الكون بالواسطة ولا بد ولا هو أمر في عين الحقيقة إذ لا يقف للأمر الإلهي شيء، تعلقها بأسماع المكون لصرفه عن كونه أو كون صادر منه يسمى تهيئاً وصورته صورة الأمر في التقسيم من الوساطة وتركها تعلقها بتحصيل ما هي عليه هي أو غيرها من الكائنات أو ما في أنفس في النفس المكون يسمى أخباراً، فإن تعلقت بالمكون على طريق أي شيء عندك يسمى استفهاماً فإن تعلقت به على جهة النزول إليه تعلق الأمر يسمى دعاء، ومن باب تعلق الأمر إلى هذا يسمى كلاماً، تعلقها بالكلام من غير اشتراط علم بذلك يسمى سمعاً، فإن تعلق علم بذلك يسمى فهماً، تعلقها بكيفية النور وما يحمله من المرئيات يسمى بصراً ورؤية، تعلقها بإدراك كل مدرك الذي لا يصح تعلق من هذه التعلقات كلها إلا به يسمى حياة والعين في ذلك كله واحدة بعدد التعلقات بحقائق المتعلقات والأسماء للمسميات فتفهم.

٥٢ ـ مسألة: علم اليقين معرفة الله بك إذ أنت عين الدليل عليه وهو إثبات ذات غير مكيفة ولا معلومة الماهية محكوم عليها بالألوهية سلطاناً وحجة لا ريب فيه عين اليقين مشاهدة هذه الذات بعينها لا بعينك فناء كلياً لا يعقل معها نسبة ألوهية إثباتاً أو نفياً لكن مشاهدة نفي الأحكام والرسوم وبمحق الآثار حق اليقين نسبة الألوهية لهذه الذات بعد المشاهدة لا قبلها وهو الفرق بين العلم والحق ليس إلا وهنا سكت المحققون وبعد هذا حقيقة ليقين ظهور الانفعالات عن العبد الكلي مع غيبته عنها فيه به غيباً كلياً وفناء محققاً وهذه غاية المراتب فالثلاثة كتابية علم وعين وحق والرابعة سنية قال عليه السلام «فما حقيقة إيمانك»[1] لكل حق حقيقة فهذه الحقيقة بها يختبر العبد المحقق نفسه في دعواه في معرفة حق اليقين فتأمل.

٥٣ ـ مسألة: مشاهدة الحق لا تعطي الإحاطة بذاته ولذلك قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ولو كانت المشاهدة تعطي معرفة مناسبة الألوهية للذات لم تكن

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١/ ٥٧)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٣٢٧) والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ١٦٣)، وابن كثير في (التفسير ٣/ ٥٥٣).

فائدة لقول رسول الله ﷺ في التجلي الإلهي في الدار الآخرة وقوله تعالى للناس: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٢] فيقولون نعوذ بالله منك ولم يعرفوا أنه الحق مع مشاهدتهم إياه فأذن العلم بالألوهية لا يلزم منه العلم بالذات فمدار المعرفة على الحقيقة على علوم ثلاثة علم الألوهية وعلم الذات وعلم نسبة هذه الألوهية لهذه الذات وبعد هذا كله فلا إحاطة ولا إدراك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.